الباب الرابع

اندحار اللغة والخطر المحدق بها

كلمات من أصل غير عربي

تتفاعل اللغات بعضها مع بعض تفاعل الكائنات الحية، تأثيراً وتأثراً، لدرجة أن هناك صراع يدور بين اللغات من أجل البقاء، وعملية الاقتراض من لغة أخرى تفيد اللغة المقترضة، واللغة العربية حين اتصل أهلها قديماً بالثقات المجاورة واحتكوا بشعوبها دخلت ألفاظ من لغاتها إلى اللغة العربية ولو نظرنا إلى القرآن الكريم لوجدنا الكثير من الألفاظ المعربة والتي أخذت من لغات أخرى مثـــل :

١-القسطاس أي الميزان من الرومية .

٢-الصراط من اليونانية .

٣-ياقوت من الفارسية .

٤-ملائكة من الحبشية .

٥-طوبى أي الجنة من الهندية .

٦-هلم أي تعال من القبطية .

ولكن العصر الحديث والذي يبدأ من منتصف القرن التاسع عشر الميلادي هو العصر الذي تأثرت فيه اللغة العربية بشكل كبير بغيرها من اللغات فقد حدث ما يشبه نقل العلوم وترجمتها إلى اللغة العربية فوجد الدخيل والمعرب وكان النحت لإيجاد مصطلحات علمية جديدة والتغيير الذي أصاب اللغة العربية في هذا العصر أصاب ألفاظها وتراكيبها، وبعضها دخلها من اللغات الأجنبية، والبعض الآخر تولد فيها بالتنوع والتفرع .

وقد ذكر جورجي زيدان في كتابه اللغة العربية كائن حي مئات الكلمات الموجودة في اللغة العربية وهي منقولة من لغات أخروقد بدأ ذلك منذ بدء الفتوحات الإسلامية وخروج العرب من الجزيرة العربية حيث اختلط العرب بكثير من الأمم وتأثروا بكثير من الشعوب وتأثرت بهم هذه الشعوب، وكان نتيجة لهذا الاختلاط هو دخول كلمات غير عربية إلى اللغة العربية والعكس صحيح واستمر دخول هذه الكلمات حتى أصبح بعضها جزءا لا يتجزأ من اللغة وكانت أكثر اللغات التي أثرت في العربية هي الفارسية والتركية نتيجة اختلاط العرب بهذه الشعوب منذ بداية الفتوحات الإسلامية إلى نهاية الخلافة العثمانية ثم بدأ دخول الكلمات ذات الأصل الفرنسي والانكليزي نتيجة الاستعمار ونتيجة أيضا للريادة وفيما يلي قائمة صغيرة جدا ببعض الكلمات المستخدمة في

العربيـة ذات الأصـل ومـن الكلمـات التـى دخلـت اللغـة العربيـة خاصـة والمستخدمة فى مصر منه ما يلى:

بس : كلمة هندية بمعنى فقط.

دسته : فارسيه ومعناها حزمه.

سروال : فارسيه وهي مركبه سر تعني فوق وال تعني القامه.

طشت : فارسيه تعني اناء الغسيل.

كندره : تركية تعني الحذاء.

النجفة : السبب في هذه التسمية أن شيئًا من هذه النجفات كان اجتلب في أول الأمر إلى مصر من مدينة النجف العراقية، فسماها المصريون نجفية بياء النسبة، ثم حرفوها إلى نجفة ولغة هى الثريا

بصمة: أصلها تركي باصماق و تشير الى وطأة القدم استخدمت للتعبير عن طبعة الابهام التي توضع على الأوراق الرسمية.

بلكون أو بلكونة أصلها فارسي وهي الشرفة التي تطل من مبنى بوفيه فرنسية والصواب مقصف.

بنك وبالعربية مصرف

تاكسي سيارة أجرة

جاكيت سترة أو قميص

جنتل لطيف

جورنال إنجليزية والصواب صحيفة

ديكتاتور كلمة لاتينية والصواب طاغية أو مستبد .

درابزين: أصلها تركي ومعناها مسند أو متكأ السلم أو الكرسي

دوغري :أصلها تركي وتعني المستقيم

صالون غرفة جلوس

جرانيت Granite والعربية هي صوان حجر الصوان.

فاتورة إيطالية والصواب قائمة حساب.

أسباب عدم تطوير اللغة العربية نفسها ونشرها عالمياً

١ـ التيارات الاستعمارية المعادية للعربية ٠

٢ـ قلة الدراسات اللغوية ونشر البحوث العلمية ونقص المصطلحات المعربة وعدم اللحاق بركب التطور في تعريب كل جديد ٠

٣ـ اختلاف اللهجات الغربية وعدم توحيد المناهج الدراسية في الدول العربية ٠

٤ـ عدم الالتزام بما يصدر من المجمعات اللغوية العربية والتعريب غير المنظم والارتجال في ذلك ٠

أسباب ومجالات انتشار اللهجات العامية في الأقطار العربية

تختلط الأسباب المعاصرة لانتشار اللهجات العامة ومجالاتها في كثير من الأحيان فما قد يكون مجالا لها فهو في نفس الوقت قد يكون سببا لها ولذلك لابد من جمعها تحت عنوان واحد ،ومن هذه الأسباب والمجالات ما يلي:

١ -تفشي الأمية والجهل في الأسرة ومحيطها:

إن انتشار الأمية والجهل لقرون طويلة بين أفراد الأسرة العربية وخاصة الأم التي يتربى في أحضانها كل إنسان له اثر بالغ على لسان الطفل الذي يكتسب لغته منها ومن أفراد أسرته الأخرى ومن دائرة البيئة الاجتماعية التي يعيش ويتحرك فيها فاللغة يتعلمها الإنسان ويتقنها بالسماع والمحاكاة.فالطفل الذي يقضي سني حياته الأولى في التقاط مفردات لغته الأولى لا يسمع إلا لهجة عامية تترسخ في عقله ووجدانه وتتحكم في ملكته اللغوية مستقبلا وحين يجد فرصة للتعليم فان هذه اللهجة العامية لا يمكن اكتساحها الا بتعليم قوي للفصحى مدة طويلة ولذلك فان عملية إحلال الفصحى في لسان الطفل لا يمكن أن تتوفر لها فرص النجاح في ظل منهج ضعيف كما وكيفا للغة العربية الفصحى وقد أثبت القران الكريم والعلوم الشرعية الأخرى قدرتها على ترسيخ الفصحى في السنة الذين درسوها وتعلموها أكثر من أي منهج آخر.

٢- الانعزال السياسي والقبلي

تحتوي الأقطار العربية على العديد من القبائل والكيانات الاجتماعية الصغيرة التي نشأت فيها منذ قديم الزمان كما نشأت في كل المجتمعات الإنسانية وطبيعة القبائل والكيانات الصغيرة جعلها تعيش اجتماعيا في تكتلات داخلية وانعزال خارجي عن بقية القبائل والكيانات الأخرى وقد نشأت عن الانعزال الاجتماعي لكل قبيلة مفردات واصطلاحات وتركيبات لغوية ضمن لهجة متداولة بينهم لا يفهمها غيرهم بسهولة رغم أنها نابعة من جذور للغة العربية وكلما أوغلت المجتمعات القبلية في الانعزال تكرست لهجاتهم أما حين تذوب القبائل اقتصاديا وثقافيا في كيان اكبر فان اللهجات الصغرى تختفي وتحل محلها لهجة أعم وتتوحد المصطلحات اللغوية أما الفصحى فلا تطغى إلا بالتعليم والقران والثقافة الأدبية والدينية وهو إن حدث فلا يكون إلا في نطاق محدود جدا أما الانعزالية السياسية الناشئة عن تقطيع الغرب الاستعماري لأوصال الخلافة الإسلامية والوطن العربي فقد خلقت كيانات سياسية صغيرة ووضعتها تحت العناية المركزة للافتراس الغربي الذي يقوم أساساً على قوة الحماية والتغريب وتشجيع النزعة الإقليمية اللسانية والتاريخية والجغرافية ومن ضمنها حصار الفصحى وخنقها حتى يرتفع هدير اللهجات العامة في جميع المجالات وقد رافق ذلك محاولات استشراقية تخريبية في مهاجمة اللغة العربية والحط من قدرها مع رفع شان

العاميات لخلافة الفصحى على لغة القران الكريم وديوان الشعر العربي. وتتعزز هذه الحملة دائما بأفواج الوافدين الأجانب من غير العرب الذين يقيمون ويزورون هذه الأقطار لفرص العمل والتجارة وحين تختل النسب السكانية وتتغلب اللهجة السكانية لغير العرب فإنها ترفد اللهجات العامية المنحرفة بكلمات دخيلة أجنبية من مختلف لغات العالم فتزيدها انحرافا.

٣- السياسة الرسمية في الأقطار العربية نحو اللغة الفصحى:

يمكن تحديد السياسات الرسمية في الأقطار العربية نحو تعليم واستعمال اللغة العربية في ثلاث مجالات هي:

ا- التعليم العام والتعليم الجامعي:منذ القرن التاسع عشر الميلادي والغرب الاستعماري الصليبي يزحف على الوطن العربي احتلالا وتجزئة وسيطرة على وسائل ثقافته وتعليمه فحارب اللغة العربية الفصحى والقرآن الكريم والشريعة الإسلامية بوسائل شتى لحرمان الناس من تعليم وتعلم اللغة الفصحى وساعد على نشر اللغات الأجنبية وتشجيع اللهجات العامية وعند سماحه بتعليم اللغة العربية وضع لها مناهج ملتوية وضعيفة تتقلب كل حين وصاغ لها طرقا لاتينية لتعليم أصولها للمبتدئين بحيث تفضي بهم إلى عدم تملك السليقة اللغوية فساعات تدريس الفصحى قليلة ومدرس اللغة لا يعتني بها والمنهج هزيل. والمشكلة أن انعدام السليقة اللغوية لازمت الدارسين والمدرسين في المستوى الجامعي حتى بلغت مرحلة مناقشة أطروحات الدكتوراه

باللهجة العامية في اعرق الجامعات العربية.

أما تعليم العلوم في المستوى الجامعي فقد جعلوه باللغات الأجنبية وكأن الحضارة الإسلامية التي قامت على العلوم الطبيعية أيضا لم تكن موجودة بالإضافة إلى التضييق على طالبي دراسة العلوم المادية حتى يترك المجال مفتوحا للمدرس أن يستخدم اللهجة العامية عند الضرورات لأنه فاقد للخلفية اللغوية الفصيحة في مجالات العلوم والأخطر من كل ذلك هو أن المدارس الخاصة والجامعات الأجنبية بدأت تتأسس في كثير من الدول العربية على نطاق واسع هدفها الأساسي وضع اللغة الانجليزية واللغات الأوروبية في مناهجها كلغة أولى وليست ثانوية والتعليم بها حتى تنتشر على حساب الفصحى.

٢- إهمال اللغة الرسمية للدولة: تدعي الأقطار العربية في دساتيرها ومبادئ حكمها أن اللغة العربية هي لغة الدولة الرسمية ومعنى هذا أن قوانينها يجب أن تنص على استخدام اللغة العربية في جميع المعاملات التي تنشأ أو تتم بمقتضى قوانين الدولة وسياستها وخاصة تلك التي تكون أجهزة الدولة طرفا فيها التزاما أو إشرافا أو توجيها أو رقابة أو تنفيذا فمثلا جميع وسائل الإعلام والثقافة التي تمولها الدولة من صحافة وتلفزيون وإذاعة وسينما ومسرح وخلافه كما أن الذين يشاركون في العملية التعليمية والتدريبية من مدرسينا وأمثالهم ملزمون باستعمال اللغة الفصحى أما أعضاء المؤسسات الدستورية الثلاث وأفراد

أجهزة الدولة الإدارية العسكرية والمدنية فهم ملزمون أيضا باستخدام الفصحى في معاملاتهم الرسمية المكتوبة والمنطوقة .

إن التراخي والإهمال في استخدام اللغة العربية الفصحى قد جعل اللهجات العامية وتشويهاتها اللغوية تتغلغل في المحافل الرسمية والمدارس والمعاهد والجامعات وكافة وسائل الإعلام والثقافة الحكومية كما أن اللافتات التجارية في الشوارع والأسواق قد تجاوزت ذلك باستخدام اللغات الأجنبية غير أن ما ابتليت به الأقطار العربية بعد خروج الاحتلال الاستعماري الغربي المباشر هو أنه استطاع أن يجعل الحكم والإدارة تتداولهما الجيوش بضباطها الانقلابيين أو ممثلي الأحزاب العلمانية أو القادة التقليديين منهم وهذه الفئات الثلاث واقعة تحت الفكر التغريبي بدرجات مختلفة غير أن ما يجمعها وتشترك فيه هو الميل عن مقاصد الإسلام والميل نحو مصالح الغرب وجعجعة الخطاب باللهجات العامية عبر وسائل الإعلام عن أعمالهم وانجازاتهم ولقد انقضى عهد الخطابة بالفصحى لزعماء الأمة الذين تربوا على النهج الإسلامي ولغة القرآن قبيل النصف الثاني من القرن العشرين وجاء عهد تلويث الأسماع بالخطب العامية.

٣- استخدام وسائل الإعلام والثقافة للعامية إذ أصبحت وسائل الإعلام والثقافة ذات تأثير قوي للغاية على الناس في كل أنحاء العالم غير أن تأثيرها السلبي يشتد ويقوى كلما كان الإنسان أميا وجاهلا أو ضعيفا في

أخلاقه وبما أن الأدوات التي تستخدم في مجال الإعلام والثقافة كثيرة ومتنوعة فإنها حين تطغى عليها اللهجات العامية على حساب اللغة الفصيحة وتلوث المحيط الاجتماعي صوتا وصورة تكون كارثة في نتائجها الآنية ووخيمة في عواقبها البعيدة وأدوات الإعلام والثقافة كثيرة،منها المطبوعات بمختلف أشكالها وأغراضها والصحف والمجلات والإذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح وشبكة الاتصالات المسموعة والمرئية ومنابر الخطابة في المساجد والمحافل الاجتماعية العامة والخاصة وسوف نستعرضها بإيجاز كما يلي:

١-الصحف والمطبوعات : بدأت اللهجات العامية تتسلل إلى الصحف وسائر المطبوعات في شكل أشعار عامية أو إعلانات دعائية أو كتابات خفيفة أو نكت للدعاية وأسباب ظهور هذه العاميات مطبوعة في صحف أو كتب يختلف من حال إلى آخر فأحياناً يكون الدافع فنياً وشعبياً وأحياناً يكون الدافع مشبوها ومشوبا بالانعزال والتغريب الثقافي الذي تبدأ سياساته بمزاحمة الفصحى على كل المستويات وتطبيع وتطعيم اللهجات العامية ببعض الكلمات الأجنبية التي تتسلل أيضا إلى اللغة الفصحى وأخصب المجالات للتغلغل هو الأزجال الشعبية والشعر العامي الذي يدفع به مكتوبا إلى صفحات الجرائد والكتب والمطبوعات الأخرى بعد أن كان يتداول شعبيا بالسماع في كل حقبة تاريخية حتى ينقرض.

٢- الإذاعة والتليفزيون والسينما والمسرح والغناء منذ أواخر القرن

التاسع عشر المسيحي تأثر العرب ببعض الفنون الأوربية في أوروبا من رواية ومسرحية وقصة وما تبعها بعد ذلك من مسرح وسينما وأفلام ومسلسلات إذاعية وتلفزيونية وغناء مذاع ومصور نتيجة الهيمنة السياسية للغرب على الساحة الثقافية فكانت اللغة الفصحى تتصدر العامية في بادئ الأمر غير أن العامية زحفت ببطء في مختلف الميادين لأسباب كثيرة تتعلق بمستوى المؤلفين وحاجة السوق التجارية وبمحاولة جذب وتوسيع قاعدة المتلقين من الجمهور والنزول الى مستواهم وفقا لبعض النظريات الأوربية المتعلقة بالفكر الواقعي والدعوات الاستشراقية التغريبية الهدامة لأصالة اللغة العربية الفصيحة والمؤيدة لانتشار اللهجات العامية رسمياً كبديل حضاري حسب زعمهم للرقي والتقدم واللحاق بالغرب الأوربي كما يوهمون به السذج من الناس أو ما قد يجد تقبلا في نفوس الانعزاليين وأعداء العروبة والإسلام ونظرية الواقعية في الأدب تدعو إلى استخدام العامية كلما كان ذلك ممكنا ومقبولاً حتى تنزل إلى مستوى الجماهير العريضة في القضايا الاجتماعية لتكسب نصرها لها سياسيا ونحن نعلم أن الرقي والتطور لا يكون إلا برفع الناس وتطويرهم لغوياً وثقافياً وحضارياً فالوسيلة النبيلة تستخدم لبلوغ الغاية النبيلة، أما استخدام وسيلة خسيسة للوصول إلى غاية نبيلة فان التجارب التاريخية والمعاصرة تثبت عكس ذلك.

واليوم بعد أن تطورت وسائل الإعلام المسموعة والمشاهدة فان

طغيان استخدام العامية الملوثة قد أصبح وباء ضارا على أسماع المتلقين من الصغار والكبار المتعلمين والذين يتعلمون فهذه الوسائل تسمع وتشاهد في البيوت من خلال المسلسلات والأفلام والمسرحيات والحوارات والغناء باللهجات العامية وبما أن معظم الغناء يدور حول موضوع الحب الذي ينشغل به معظم الناس فان شعراء العامية يسيطرون على الساحة الغنائية بحيث جُعل الغناء باللغة الفصيحة أمراً صعباً بعد أن عملت حركة الحداثة التغريبية في النقد الأدبي على الإقلال من شأن الشعر العربي العمودي والموزون الذي تغنى به بعض عمالقة الغناء العربي من الرجال والنساء في القرن الماضي.

٣-المحافل الاجتماعية العامة والخاصة: حيثما رأيت أو سمعت مكرفوناً فاعلم انه لمحفل عام أو خاص فالاجتماعات السياسية المغلقة والمفتوحة تسيطر على خطاباتها وحواراتها اللهجات العامية كما أن العامية تسيطر على المؤتمرات والندوات والمنتديات أما الاحتفالات الشعبية لأغراض اجتماعية فحدث ولا حرج بل إن منابر المساجد في بعض الأحيان قد داخلتها العامية للوعظ والإرشاد والتفسير والسبب الرئيسي في كل ذلك هو ضعف التعليم عموما وسيطرة الأنظمة العسكرية على شؤون الحكم والإدارة مدة طويلة في البلدان العربية ومعظم القادة العسكرية يكثرون من الخطب الرنانة والطويلة بالعامية وتكرارها في وسائل الإعلام التابعة لهم على أسماع شعوبهم طوال الوقت غير عابئين بلوثة العامية على

أسماع الناس.

٤- شبكة المعلومات والاتصالات الالكترونية: دخلت حديثا شبكة المعلومات الالكترونية والتلفونات المنقولة ضمن وسائل الإعلام المختلفة ومعظم المتعاملين فيها من أجيال الشباب الذين تتراوح معرفتهم باللغة العربية الفصحى بين شبه الأمية والتعليم العالي غير أن اللهجات العامية تسيطر على عقولهم عند الحديث أو الكتابة فتراهم يتحاورون ويدونون باللهجات العامية كتابة وقولاً على التلفونات المنقولة وعلى شاشات الشبكة والمعلومات الالكترونية وخصوصا أن كثيرا من البرامج المخططة للنزعات الانعزالية والترفيهية تستخدم اللهجات العامية من خلال مناظر الإغواء والغواية ومن خلال إيهام الشباب التائه بالسطوع في نجومية معينة والهدف الأساسي لهذا النوع من الأنشطة هو حرف الشباب عن قضاياهم العربية والإسلامية باستخدام اللهجات العامية للترفه والانعزال والابتعاد عن لغة القرآن والجهاد.

٤-المؤامرات الغربية على لغة القرآن والإسلام والعروبة:

منذ دخول الاحتلال الغربي إلى الوطن العربي في القرن التاسع عشر المسيحي ومحاولات فرض الحصار الثقافي على اللغة العربية والقضاء عليها تدريجيا كجزء من تحطيم أسس الإسلام والعروبة القائمة على القران والسنة والشريعة لم تنقطع حتى الآن ففي بلدان المغرب العربي

حوربت اللغة العربية ومنع تعليمها من الأساس وتم استبدالها باللغة الفرنسية رسميا وفي مصر ولبنان والعراق ظهرت دعوات للكتابة بالحرف اللاتيني بدلا من الحرف العربي ثم ظهرت دعوات لاحقة في بعض الدول لاستخدام العامية واللهجات المحلية بدلا من اللغة العربية الفصيحة وقد قام بذلك المسئولون الأوربيون والمستشرقون وساندهم في ذلك بعض الشخصيات الثقافية في الوطن العربي أحيانا لأسباب تتعلق بعاهاتهم الثقافية أو أحوالهم الانعزالية ثم تستر المتآمرون بعدائهم على الفصحى لغة القران بدعاوي أخرى مثل إصلاح اللغة أو تطوير التعليم أو إثارة الشبهات حول أصالة اللغة العربية أو صلاحيتها كلغة للحضارة واستخدام اللغات الأجنبية في تدريس العلوم وغير ذلك من الأساليب الاستعمارية والتغريبية والانعزال في قتل هوية الأمة.

أما اليوم فان التآمر على الفصحى ينصب أساسا على الاهتمام الكبير باللهجات العامية المحلية وتشجيع استخدام اللغات الأجنبية في التعليم والتجارة والخدمات الأخرى وإذا كانت جميع الوسائل التي استخدمها أعداء اللغة العربية قد نجحت جزئيا في بعض المناطق من العالم الإسلامي مثل كتابة بعض لغاتها بالحرف اللاتيني بدلا من الحرف العربي في أسيا وأفريقيا فإنهم الآن قد اقتنعوا اقتناعا تاما بان خير وسيلة وابسطها لمحاربة اللغة الفصحى هي نخر اللغة العربية الفصيحة وتدميرها من الداخل بواسطة استخدام اللهجات العامية المحلية في

الوطن العربي وخارجه فيقول الدكتور عبد السلام المسدي فى مجلة العربي الكويتية في عدد أكتوبر عام ٢٠٠٧م وهو أستاذ في علم اللغة ووزير ثقافة سابق في تونس يقول ولا يخفى أن وضعاً دولياً أصبح يساعد على الزهد في اللغة العربية الفصحى، وأصبح يشجع على أن تنمو حقول التداول بالعامية، لتحل العاميات محل العربية الفصحى وهذا ليس من باب المؤامرة لأنه لم يعد شيئا مسكوتاً عنه، وإنما أصبح شيئاً مرسوماً في سجلات الخطط الاستراتيجية الدولية سواء الأوروبية منها أو الأمريكية ثم يذكر مثالين لما تمارسه الدوائر الغربية والأمريكية من التآمر على الفصحى بتشجيع العامية الأول أنه جاء منها فريق إلى الإسكندرية وعرض تمويلا سخياً في انجاز مسلسلات جديدة للأطفال شريطة أن تكون المسلسلات بالعامية لا بالعربية الفصحى والثاني إصدار تشريعات تربوية جديدة في الدول الأوروبية مثل فرنسا تلغي اختيار اللغة العربية الفصحى كلغة أجنبية في البكالوريا وتحل محلها مجموعة من العاميات فقسمت العامية العربية في النظام التربوي الفرنسي الثانوي إلى ثلاث مجموعات: العامية المتصلة بشمال أفريقيا ثم العامية المصرية ثم العاميات الشرقية بينما نحن نعامل اللغة الفرنسية ونتعلمها حسب أصولها اللغوية التي وضعتها الأمة الفرنسية احتراماً لثقافة الشعوب.

وحينما بدأ هجوم الغرب الاستعماري على الوطن العربي في القرن

التاسع أرفق سياساته اللاحقة بمحاربة اللغة العربية الفصحى وتشجيع العاميات حينما وجد أن الإسلام يقف عائقا أمام تنفيذ سياساته فاهتم المبشرون والمستشرقون بدراسة اللهجات العامية في مختلف البلدان العربية كما اهتموا بجمع الأمثال والأزجال الشعبية والاعتناء بها وقاموا بتأليف الكتب للتعليم باللهجات العامية المحكية وشجعوا استخدام اللهجات المحلية في كافة المناحي الثقافية والاجتماعية واليوم وفي ظل الهجمة الجديدة للغرب الاحتلالي تنتشر القنوات الفضائية المنوعة التي تتصدرها المذيعات الفاتنات باللهجات العامية وتدار معظم البرامج فيها من حوارات وغناء ومسلسلات واحتفالات باللهجات العامية ويكرر نفس الشيء في الإعلانات وتقام المهرجانات وتكتب بها على مختلف الشاشات المرئية التي نستخدمها من تلفزيون وحاسب وتليفون قد تكون أسباب ذلك تخلف وضعف ثقافي وانحطاط حضاري غير أن ترتيب الأمور الأساسية لقواعد انطلاق العاميات وعرضها على حساب الفصحى في وسائل الإعلام والثقافة وراءه خطط واضحة مقصودة.

عيوب استخدام العامية وآثارها السلبية على العروبة والإسلام

للعامية سلبيات كبرى ومساوئ عظمى عند استخدامها كأداة تعبيرية قولا او كتابة على اللسان والعقل والأخلاق والثقافة والعلم والدين والهوية وسوف نحاول إيجاز أهمها فيما يلي:

(١)تعطيل وظائف جهاز النطق:

ان فصاحة اللغة العربية كما يرى الاستاذ العقاد تنبع من اللفظ الفصيح الذي هو اللفظ الصريح الذي لالبس فيه ولا اختلاط في ادواته فلالبس بين مخارج الحروف ولااهمال لمخرج منها ولاحاجة فيه الى تكرار النطق من مخرج واحد. وجميع المخارج الصوتية مستعملة ومتميزة باصواتها ولو لم يكن بينها غير فرق يسير في حركة الاجهزة الصوتية. فالفصاحة هي امتناع اللبس وهذه هي الخاصية النطقية التي تحققت في اللغة العربية لمخارج الاصوات كما تحققت للحروف ولايلزم ان يكون لكل حرف مخرج مستقل في جهاز النطق الذي يشترك فيه الحلق والحنك واللسان واللثة والشفتان ،بل كل مايلزم فيها ان يكون جوهر الحرف سليما في مجراه من الجهاز الصوتي وفي موقعه من السمع لحسن استخدام ذلك الجهاز وحسن التمييز فيه بين الاصوات المتشابهة او المتقاربة.

ولما كانت اللهجات العامية تقوم بتحريف الحروف والحركات وتغييرها فان ذلك يؤدي الى تغيير مخارج الحروف وحركاتها في جهاز النطق وتغيير اصواتها ونبراتها ومواقعها من السمع وهو مايعني ان الوظائف الصوتية للحلق والحنك واللسان واللثة والشفتان في اللهجة العامية قد تختلف عن وظائفها في اللغة الفصيحة من حيث المخارج والاصوات والاسماع بالنسبة لذات الكلمة المنطوقة وعندما تستخدم اللهجة العامية جهاز النطق مدة طويلة اكثر مما تستخدمه اللغة الفصيحة

فانها تحتكر جهاز النطق بالتعود فيصبح عبدا للهجة العامية وسوف يشق عليه ان ينطق بما تقتضيه الفصحى من المخارج والاصوات والحركات، فحروف اللغة العربية تختلف صفاتها الصوتية وتتباين فيما بينها عند النطق كالجهر والهمس والرخاوة والشدة والصفير وغيرها فبعضها يجري النفس عند النطق بها.

وبعضها ينحبس جري النفس عند النطق بها لقوة الاعتماد على مخارجها وبعضها ينحبس جري الصوت عند النطق بها لكمال الاعتماد على المخرج.

وبعضها يجري الصوت عند النطق بها لضعف الاعتماد على المخرج.

وبعضها يرتفع اللسان عند النطق بها إلى الحنك الأعلى.

وبعضها يحط اللسان بها عند النطق بها من الحنك إلى قاع الحلق.

وبعضها تلاصق ما يحاذي اللسان من الحنك الأعلى عند النطق بها.

وبعضها ينفتح مابين اللسان ويخرج النفس مما بينهما عند النطق بها.

وبعضها يعتمد الى طرفي اللسان والشفتين عند النطق بها.

وبما أن اللهجة العامية تغير الحروف جميعها في ألفاظ اللغة الفصيحة عند النطق بها بالعامية التي تعودت ذاكرة متحدثها وناطقها على استحضار مفرداتها أكثر من استحضار مفردات الفصحى نتيجة استدامة السماع والحديث بها فان جهاز النطق يتعطل عن الفصاحة بالتكرار الدائم الذي هو في الواقع تعليم وتدريب على النطق بالعامية ناهيك عن

تحريف بناء الجمل والعبارات او تحطيم قواعد اللغة البسيطة الامر الذي يؤدي في مجمله إلى إضعاف وتدمير السليقة اللغوية للفصحى بعد ان سلقت لسانه العامية.

اللغة والاستعمار

على امتداد تاريخ الاستعمار البشري يسعى المستعْمِر في البداية إلى القضاء على لغة المستعمر، فيجعل ذلك الهدف ضمن أولويات برنامجه الاستعماري وتلتقي الدول الاستعمارية بالدول المركزية الغير الديمقراطية في كون كل منها يؤسس نظاما خاصا من الأفكار والحقائق حول الذات وحول الغير ويعمل على الحفاظ على بقائه كنظام لهذا يعتبر المساس بهذا النسق من الحقائق والأفكار مسا بأمن الدولة واستقرارها، وهدم نسق الأوهام والأساطير المؤسسة للتصور اللغوي عند أيديولجية الدولة المركزية والإمبراطورية الفرنسية أفضل استعمال مفهوم الامبراطورية للدلالة على معنى التوسع ٠

فلاسفة كبار أمثال نيتشه، فرويد، ماركس، وميشل فوكو هؤلاء جميعا يجمعون على ضرورة اتخاذ الحيطة والحذر من الأفكار والعلامات والرموز فهي خبيثة وهي أدوات لحجب الحقيقة وسترها أكثر مما هي وسائل وآليات للكشف عنها والبوح بها لهذا يتعين تأويلها بقصد إزالة

أقنعتها وسبر أغوارها وتبيان جانبها الباطني وجوهرها المستور ولقد بلور بو جمعة الهباز نظرية في الابتلاع الثقافي بالتركيز على البعد اللغوي في الثقافة وأقر بأهمية النشاط الرمزي في الإنسان لأن رأس المال الرمزي في المجتمعات التقليدية يحل مكان الرأسمال الاقتصادي في الدول الرأسمالية حيث انكب بوجمعة على نقد الإيديولوجية الإمبريالية في الجانب اللغوي وهي لا تعني عنده الأيديولوجية وعيا زائفا ومشوها ومقلوبا كما تصورها التصور الماركسي التقليدي بل هي تبرير فكري علماني لعلاقات الاستغلال السائدة في المجتمع.

فكيف أثرت الأيديولوجية الاستعمارية في حقل اللغويات؟

أن الوظيفة الإجتماعية للغويات تغلب على وظيفتها المعرفية مستشهدا بما قاله كالفي في كتابه اللسانيات والاستعمار يقول: وظيفة الإيديولجيا هي قبل كل شيء وظيفة اجتماعية وجدت للدفاع عن طبقة أو عن مجموعة معينة في حين أن العلم الخالص (إن كان له وجود) له وظيفة معرفية قبل كل شيء أما اللغويات في علاقتها بذلك فهي في وضع خاطئ وظيفته اجتماعية أكثر مما هي معرفية

أن اللغة ظاهرة اجتماعية يتداخل فيها الإجتماعي والمعرفي وأكثر من ذلك، إن منظومة لغوية ما الشيء الذي يعني ليس فقط مفرداتها بل نحوها وتراكيبها تؤثر في طريقة رؤية أهلها للعام وفي كيفية وبالتالي في طريقة تفكيرهم وقد أكد جون بياجيه أن الطفل يرى العالم الخارجي

امتدادا لجسمه حتى يتعلم اللغة فتحدث القطيعة ويبدأ الوعي بالعالم الخارجي فيخضع لتقسيمات اللغة .

كان رينان على علم بأن دراسة التطور اللغوي تضيء الأصول الحضارية مثلها مثل دراسة التطور الديني وتوجت الأبحاث اللغوية لرينان بما كان مرسوما لها سلفا من قبل الإمبراطورية الفرنسية حيث خلص في مقارنته للغات الهند والأوروبية بالسامية إلى اعتبار الثانية مفككة عضوياً وعليه فإن اللغات السامية مظهر من مظاهر التطور الذي لم يتجاوز نفسه

إن إعادة التوازن المختل في جانب اللغات هو ما يشكل مهمة الباحث الأهلي الذي يجب عليه أن يتحمل مسئولية وواجب إعادة التفكير في النظريات اللغوية

اللغة العربية في خطر أم في تطور؟

هناك حوالي ٤٥ لغة اليوم على وجه الأرض في الوقت الحاضر كل ١٥ يوم تختفي لغة واللغة العربية لن تختفي لأنها لغة القرآن وقد تعهد الله بحفظ كتابه فإذا لم تنقذ اللغة العربية فستصبح لغة ثانية للعرب كما هي لغة ثالثة للماليزيين بعد الماليزية والإنجليزية أو للأتراك بعد التركية والإنجليزية أو كما أن الأوردية هي لغة ثانية في الهند بعد الإنجليزية

إن تقدم العرب حضاريًا يعتمد على التقدم في اللغة العربية فاللغة اليوم ليست فقط وسيلة تخاطب بل هي وعاء حضاري يؤثر على كل مجريات الحياة نريد الفرد الذي يفكر بالعربية لا الذي يفكر بلغة أخرى ثم يترجم إلى العربية إن تخلف العربية سيؤثر على كل العالم الإسلامي ويزيد من تخلفه فالأبحاث التي تتعلق بمستقبل اللغة العربية تتم من قبل باحثين غير عرب وفي ظل الصيحات الأخيرة لحماية اللغة العربية من الانقراض علينا أن نتساءل هل اللغة العربية حقا في خطر أوفي طريقها إلى الانقراض؟ وماذا وراء الربوة من أمر جعل كل مثقف ولغوي وحتى صاحب الميل السياسي القومي ينتفض من أجل الحفاظ على الهوية التي تمثل اللغة الأم لبنتها الأولى؟ ولقد طالبت المجمعات اللغوية العربية مؤخرا - في ظل هذه المخاطر كما أسمتها- وسائل الإعلام العربية ورجال الدولة استخدام اللغة العربية السليمة لأنها الوسيلة الوحيدة -في نظرهم- التي تجعل من الشعب العربي اتحادا عالميا أمام التكتلات الأجنبية وإلغاء الثنائية بين اللغة العربية واللغات الأجنبية.

يرى الدكتور العلامة يوسف القرضاوي أن هناك أخطارا ثلاثة على اللغة العربية الخطر الأول هو خطر اللغات الأجنبية التي تزاحمها وتهددها في عقر دارها،والخطر الثاني هو خطر العامية المحلية التي يروج لها الكثيرون والتي أصبحت تنتشر الآن حتى في أجهزة الإعلام

والتي يطالب البعض بأن تكون لغة تعليمية،والخطر الثالث هو خطر اللحن والأغلاط اللغوية حتى في اللغة الفصحى التي يؤديها الخطباء والكتاب والمذيعون وغير ذلك وقال الدكتور على فهمي خشيم -رئيس مجمع اللغة العربية في ليبيا للجزيرة نت في اتصال هاتفي- إن المدارس الأجنبية والتي أصبحت منتشرة الآن بشكل كبير في العالم العربي أدت إلى ضعف المستوى التعليمي العام وانحطاطه، حيث لا تعطي هذه المدارس النشء ما يكفي من تعلم الدين واللغة العربية، مما يزيد الهوة بينه وبين لغته الأم وكأنه لم يعد عربياً،بالإضافة إلى عدم استخدام الجامعات اللغة العربية في مجال العلوم والطب والهندسة والصيدلة حيث يعزون السبب إلى عجز العربية عن استيعاب العلوم ولا شك أن رأي مفتي الديار المصرية الشيخ الدكتور علي جمعة في البحث الذي قّدمه في الجلسة الأولى لمؤتمر لغة الطفل العربي في عصر العولمة في مقر جامعة الدول العربية في المدّة من ١٧ ـ ٢٧/٢/١٩ م بأن اللغة العربية التي يبلغ عمرها ألفي عام تقريباً لم يتعهد الله بحفظها ولهذا فهي عرضة للتغيير، خيب آمال من كان يظن أنها لغة مقدّسة ولا يمكن أن تنقرض كبقية اللغات ولعل ما زاد الحدة لدى البعض أن اللغة العربية ربما تكون من بين اللغات التي ستنقرض بناء على ما أشار إليه تقرير لليونسكو في العام ٢٦ م والذي ذكر أن هناك لغات ستموت من بينها العربية، وهو ما أشعل القلق أكثر في نفوس الكثيرين من الغيورين على لغتهم خصوصا

إذا ارتبطت بالهوية والحضارة التي ربما تندثر هي الأخرى حتى أن الدكتور عبد الوهاب المسيري ومجموعة من المثقفين والمهتمين بالهوية السياسية العربية رفعوا دعوى ضد الرئيس المصري ورئيس وزرائه بعدم التزامهما باستعمال اللغة العربية وخروجهما بذلك عن نص الدستور المصري الذي ينص على أنها هي اللغة الرسمية للبلاد إلا أنه في ظل هذه المخاوف فإن بعض المفكرين يتكلمون عن موت اللغة بالمعنى الوضعي للكلمة أي الانقراض النهائي من الوجود، وهو ما قاله شبلي شميل في كتابة فلسفة النشوء والارتقاء الجزء الأول وهو أيضاً ما يقوله جبور عبد النور بالمعجم الأدبي وهو إنه عندما تهجر اللغة اللسان بحالة من حالاتها يظن الناس أن هذه اللغة أو تلك قد ماتت وهم في هذه الحالة ينظرون إليها وكأنها تطورت وأصبحت اليوم في أرقى حالة مما كانت في الماضي، أي أن اللغة تتطور على أنقاض كلمات قديمة فهل تنقرض العربية الجميلة وتقوم العامية مكانها بحسب هذا الرأي؟

مساوئ التعليم بغير اللغة الأم :

أننا نعتز بلغتنا العربية التي شرفها الله سبحانه وتعالى بالقرآن الكريم ولكن للأسف هناك الكثير يدعوا لدراسة العلوم المختلفة بلغات أخرى وكأن اللغة العربية عاجزة عن ذلك، ولقد أدى التدريس بغير اللغة العربية إلى

الكثير من التخلف بين الطلاب العرب لأن الإبداع لا يكون إلا باللغة الأم وهي اللغة العربية في حالتنا .

معارك اللغة العربية :

بدأت المعارك ضد اللغة العربية مع العثمانيين حينما عمدوا على القضاء على اللغات الموجودة في محيط الدولة العثمانية وكانت اللغة العربية من أبرز اللغات التي حاربتها الدولة العثمانية، ولكن اللغة العربية استطاعت أن تدافع من أجل بقائها، ثم كانت المعركة الثانية ضد النفوذ الغربي منذ عام ١٧٩٨م بالحملة الفرنسية على مصر، وعام ١٨٣٠م باحتلال فرنسا للجزائر، وقد حاول الاستعمار الذي شمل كل العالم العربي باستثناء الجزيرة العربية أن يقضي على اللغة العربية، ووجدت أصوات من أبناء العرب تنادي بالتعريب أو حتى استعمال الحروف اللاتينية في الكتابة العربية أما المنادون باستعمال اللغة العامية فقد حصلت معارك بينهم وبين المنادين باللغة الفصحى وقد انقسمت هذه المعارك إلى ثلاث مراحل :

١-الدعوة إلى العامية وحمل لوائها دعاة لتغريب والكتاب المتصلين بالفكر الغربي .

٢-الدعوة إلى الفصحى وحمل لوائها الغيورون على اللغة العربية .

٣-دعاة تقريب العامية إلى الفصحى .

وقد قوبلت هذه الدعوات بدعوات مضادة أبرزها :

١-إحياء التراث العربي القديم .

٢-استخدام اللغة العربية الفصحى .

٣-اللجوء إلى الترجمة والنقل المجازي والاشتقاق .

٤- تطهير اللغة العربية من بقايا الضعف التي حملتها من عصور الانحطاط أو التأثير الأجنبي الحديث

أثر وسائل الإعلام في اللغة العربية

لقد صارت وسائل الإعلام في معظم موادها معاول هدم للغة العرب، وقد كان من المنتظر منها أن تشيع الفصحى، من خلال المحافظة عليها نطقاً وكتابة، لكنها ساعدت على نشر كثير من الألفاظ العامية، وأصبح بعض المشتغلين بالعربية يتوارون من القوم من تلك النظرة المصحوبة بالسخرية والازدراء، ذلك؛ لأن بعض وسائل الإعلام أبرزت رجل اللغة بصورة مهزوزة، وهيئة رثة، له عالم خاص ، يتقعر بكلام الأعراب،كل غرضه البحث عن شواذ اللغة وشواردها وبعض وسائل الإعلام العربية تحتفي بالممثلين والرياضيين، وتحجب عماليق اللغة عن الظهور ؛لأنهم يعلمون أن الإعلام له تأثير بعيد المدى ؛ إذ لو عرفهم الناس، ووقفوا على سيرتهم، لاقتفوا أثرهم, حاولوا التأسي بهم وفي هذه خدمة للغة، هم لا يريدونها حتى بعض البرامج العتيقة التي فيها رائحة اللغة والأدب

تهجم على لغة العرب، ولم تتغير صورتها، وتقديمها، إذ إنها لم تتناول قضايا ينبغي الوقوف عليها، مثل الدعوة إلى العامية، والتعريب، والتقريب بين الفصحى والعامية، والرد على دعوى صعوبة النحو، والهجوم على النحاة ، وغير ذلك والأمرّ من ذلك أنهم اتخذوا هذه البرامج منابر للحط من شأن النحو، مدعين أن الإنسان محتاج ـ لكي يضبط لسانه ـ إلى عدد قليل من القواعد، أما هذه الكثرة منها فلا فائدة فيها، وهذه شنشنة نعرفها من أخزم، فقد سبقهم إلى هذا دعاة إلى تجديد النحو وتيسيره، بحذف معظم أبوابه، مثل إبراهيم مصطفى في كتابه إحياء النحو ومن الملحوظ أنه من النادر جدا أن تعنى وسائل الإعلام العربية بكيفية تلقين اللغة للطفل، وفي إمكانها ذلك لو صدقت النية لإشاعة الفصحى، قال المتنبي ولم أر في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام ،إن القصة والمقال والتحقيق الصحفي من أبرز الألوان الأدبية والصحفية، وقد ثبت أن القصة التي تقدم للطفل في قالب لغوي شائق لائق، وتحمل معنى ذا هدف نبيل أمر يحقق قدرا من النمو العقلي واللغوي وكذا المقال والتحقيق الصحفي إذاً يمكن الإفادة من مختلف هذه الأنواع في أدب الأطفال ،أما المذياع فهو وسيلة مهمة من وسائل الاتصال، ويمكن أن يسهم في نشر الفصحى بين الأطفال، وذلك عن طريق الألوان الأدبية التي يتاح تناولها في برامج الإذاعة، مثل المسرحيات الهادفة، والقصة ذات المضمون الجيد، والشعر وهذه

الوسيلة تحتاج إلى صوت إذاعي جيد، يشد أذني الطفل إليه، وعند عرض هذه الألوان ونحوها لا بد أن يقترن الوضوح التعبيري مع الإيجاز، والبعد عن الجمل الفعلية الطويلة، التي قد لا يستطيع الطفل استيعابها، لأن الطفل يصاب بملل حين تقدم له مادة لا يقوى على فهمها، أي إنه ينبغي أن تكون لغة البرنامج الإذاعي المقدم للأطفال لغة سهلة، خالية من الألفاظ الغريبة، والتركيبات اللغوية المعقدة، بدون الوصول إلى حد السذاجة ؛ لأن الطفل يرى في ذلك استصغارا لشأنه،وامتهاناً لذكائه وبرامج الأطفال يتعين أن تتحدد وفق مراحل العمر شكلا ومضمونا؛وهناك مجالات واسعة أمام برامج الأطفال في التلفاز، تستطيع أن ترفع من المستوى اللغوي لديهم،مثل إبراز حياة الشخصيات التاريخية القديمة بأسلوب جذاب، يشعر الطفل أنه أمام مشاهد حية حدثت أمامه، وكذا الأناشيد الجيدة، والمسابقات وعلى الجملة فإن التشدد مطلوب في ضبط ما يقدم للأطفال، ولاسيما في الوسائل المسموعة والمرئية، لتجنيب النشء غوائل الفوضى اللغوية، ومساعدته على تنظيم فكره، ولا يشفع ما يساق من حجج بأن طبيعة الإعلام تفرض السرعة فلا يجد القائمون عليه الوقت الكافي للتجويد واستعمال اللهجات العامية في الحوارات واللقاءات في وسائل الإعلام العربية وبخاصة المسموعة والمرئية ساعد على الضعف اللغوي ولو علم القائمون على وسائل الإعلام أن في ذلك استجابة للدعوة إلى العامية

التـي حمـل لواءهـا المستشـرق الألمـاني سـبيتا لـو علمـوا ذلـك لجعلـوا الفصحى ديدنهم ومن المرفوض كذلك الترويج للعامية في وسائل الإعلام بإشـاعة مـا يسـمى بالشـعر النبطـي فـي المملكـة العربيـة السـعودية، والمسمى بالزجل في مصر ؛ لأن في ذلك دعما لإيجاد ما يزاحم لغة القرآن وخصوم الفصحى عندما دعوا إلى اتخاذ العامية بدلا عنها قدموا بين يدي دعوتهم حججا تبدوا لأول وهلة حججا قوية، حتى ليظن كثير من الناس أن مقصد الدعاة حسن، يريدون من دعوتهم الشعب، فهم يريدون اتخاذ العامية لغة الشعب، حتى يفهم الآداب والعلوم والفنون ؛ لأن الأكثر الشعب، أما متخذو الفصحى فشواذ، والشاذ لا يذهب بالحق كله، بل لا حق له بجانب حق الشعب وهذه حجة مبنية على لمغالطة ؛ لأننا لو أهملنا الفصحى،واتخذ كل قطر لغته المحلية وسيلة لفهم ما يكتب بعاميته، لانقطعت الصلة بالقرآن الكريم والسنة، وتراث سلفنا الصالح واللافتات، وهي وسائل إعلام المقروءة مكتوبة عندنا بلغة غاية في الركاكة، ونجد الكلمات الأجنبية منتشرة انتشارا واسعا وهنا يمكن للسلطة ووسائل الإعلام أن تحدا من طغيان هذا الزحف على لغة القرآن الكريم والإسلام ومما يؤسف له أن تروج بعض وسائل الإعلام العربية لما يسمى بالأدب الشعبي، وهم يقصدون به ما كانت لغته عامية، وفيه الأمثال والشعر والقصص وحجتهم أنه قد ظهر مثل ذلك الأدب الشعبي عند العرب، وكان متمثلاً في الرجز، ولعل العجاج وابنه رؤبة قد بلغا فيه

منزلة عالية والرد على ذلك أن اللغة التي صيغ بها الأدب الشعبي عند العرب هي اللغة العربية الفصحى،فأصبح بذلك مورداً من مواردها ولقد أوصى مجمع اللغة العربية بالقاهرة في عام ١٩٨٤م بأن تقلل وسائل الإعلام من العناية بالآداب الشعبية، لتزيد من ناحية أخرى عنايتها بالأعمال الأدبية الرفيعة التي تلقى ترحيباً من مختلف الطبقات على امتداد العالم العربي ويبدوا تكاسلنا نحن حين نتعرض لبعض الدول الغربية التي أفادت من وسائل إعلامها كثيراً ففي إحصائية أذيعت في باريس قبل عدة سنوات، جاء أن عدد الذين يتحدثون الفرنسية في العالم مائة وخمسون مليوناً، وأن ثلاثمائة وخمسين مليون طالب يدرسون هذه اللغة في معاهد تدريس الفرنسية في العالم، وقالت هذه الإحصائية الرسمية إن فرنسا تستقبل كل عام مائة ألف طالب أجنبي يفدون إليها بهدف تعلم اللغة